
مشروع الكنوز القبطية
النبوءة المنسوبة
للقديس أثناسيوس الرسولي
عن دخول العرب مصر
ترجمتها عن اللغة القبطية
وقدمت لها
أ. كرستين فوزي جورج

النبوءة المنسوبة للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

عن دخول العرب مصر

ترجمة عن اللغة القبطية ودراسة

كرستين فوزى

Christine.fgeorge@hotmail.com

مقدِّمة

في السنوات الأولى التي تلت دخول العرب مصر لم يَشعُر الأقباط بأىِّ مشكلة في تولِّيهم حُكم البلاد، ربما بسبب إيمان الأقباط بالتدبير الإلهي، وأنه لو حكم البلاد هذا الحاكم أو ذاك، فهذه هي مشيئة الله ويجب الانصياع لها[١]، أو ربما رأى آخرون في دخول العرب عقابًا الهيًا للبيزنطيين بسبب عقيدتهم وبسبب اضطهادهم للأقباط لسنوات طويلة. هذا بجانب أن مفهوم القومية بمعناه الحالي لم يكن له وجود آنذاك[٢]، وكانت مصر قد تعرضت قبل قدوم العرب إلى سلسلة من الغزوات جعلها تخضع للحكم الأجنبي لعدة قرون، مما جعل المصريين يعتادون على حكم الغرباء، مع اعتقادهم في ذات الوقت أن هذا الاحتلال مهما طال فهو إلى زوال. وهكذا لم تكن جنسية

ما لبثت هذه النظرة تجاه الحاكم هي شغلهم الشاغل ما دام ينتهج بينهم العدل والرحمة في حكمه. العرب طويلاً حتى استُبدلت بمواقف مُناهضة للحكم العربي. بدأت هذه المواقف الدفاعية في الظهور ضد الحكم ربما مع إدراك الأقباط اختلاف طبيعة الحُكم العربي عن الحُكم البيزنطي أو غيره في عدة أمور. من أهم هذه الأمور: كان يهدف الحكم العربي إلى نشر دينٍ

---

1 Otto Meinardus, The Attitude of the Orthodox Copts towards the Islamic state from 7th to 12th century. In *ostkirchliche Studien* 13 (1964), pp. 157–159

2 M.Mikhael, *Egypt from Late Antiquity to Early Islam:Copts, Melkites, and Muslims Shaping a New Society*, Los Angeles 2004, p.85-93

جديدٍ، على خلافِ من سَبقوه من غُزاة. الأمر الآخر هو استيطان الأرض، فلم يلعب العرب دور الحاكم فحسب كالباقين، بل سعوا إلى الاختلاط بأهل البلد والاندماج في حياتهم ومعيشتهم. الأمر الأخير هو قيامهم بفرض لغة غريبة على لغة الأقباط. علاوة على كل هذا لم يَسلم الأقباط من الظلم والقهر منذ انتقال الخلافة إلى دمشق وتولي معاوية بن أبي سفيان الحُكم.

في ظل كل هذه الأحداث أراد الأقباط أن يُعَبِّروا بطريقة أو بأخرى عن ضيقهم وآلامهم، بسبب ما تعرضوا له من ضغوط، لكنهم لم يتمكنوا من التعبير عن ذلك صراحة ربما خوفاً من بطش الحاكم، فابتكروا طريقة أقرب ماتكون إلى الإسقاط السياسي. فقام بعض الكُتَّاب الأقباط بالتعبير عن الأحداث الواقعة في زمنهم من منظورهم الخاص، ونَسبوها إلى مجموعة من مشاهير آباء الكنيسة القدامى على أنها نبوءات تنبأ بها هؤلاء الآباء، مما أكسب هذه الكتابات رواجاً كبيرًا لدى الشعب آنذاك. الأكثر من هذا أنَّ هؤلاء الكُتَّاب لم يكن يعنيهم أبدًا سرد معلومات تاريخية بقدر ما كان يشغلهم إيصال رسالة معينة إلى سامعيهم، فربطوا بين هذه الأحداث وبين غضب الله على البشر نتيجة كثرة الخطايا، وربطوها أيضًا بمجيء المسيا وآخِر الزمان، مما ساعد على خلق نوع من الاتحاد الفكري والروحي لدى الشعب في زمن شابه التشتت[٣].

بالتأكيد يختلف هذا النوع من الأدب النبوي الذي ابتكره بعض الأقباط في العصر العربي تمامًا عن نبوءات الكتاب المقدس أو الرؤى والنبوءات الحقيقية التي تنبأ بها بعض القديسين. يظهر هذا الاختلاف بوضوح في أسلوب العرض، مع وجود العديد من المغالطات التاريخية في مجموع هذه النصوص، والتي تفضح زمن الكاتب الحقيقي.

[3] Robert G. Hoyland, *Seeing Islam as Others Saw It. A Survey And Evaluation Of Christian Jewish And Zoroastrian Writings on Early Islam*, New Jersey 1997, pp. 26-31.

من أشهر الرؤى والنبوءات التى تناولت نظرة الأقباط إلى الحكم العربي:

الرؤية المنسوبة لأنبا شنوده رئيس المتوحدين[٤] (٣٤٧ م. ٤٦٥ م)[٥]: وصلنا هذا النص باللغة العربية، ويتحدث عن ظهور السيد المسيح لأنبا شنوده، مخبرًا إياه عن نهاية الأزمنة، وعن حُكم المقوقس، ودخول العرب مصر، والمضايقات التي سيتعرض لها الناس، وجَمْع الجزية عنوةً، وتخلّى الناس عن إيمانهم نتيجة القهر. ركز النص على التحول إلى الإسلام، والإشارة إلى بناء قبة الصخرة، وإنكار المسلمين صلب المسيح. النص موجود في مجموعة من المخطوطات، أشهرها: مخطوط المتحف القبطي رقم٦٨٧ (تاريخ ٤٧٠) صفحات من ٣٠ إلى ٣٣، ومخطوط دير أنبا مقار رقم ١٣ سير قديسين صفحات ٢٠٣ إلى ٢١٠. نشره E. Amélineau مع ترجمة فرنسية[٦]، ويعمل J.van Lent على نشرها مرة أخرى مع ترجمة إنجليزية[٧].

الرؤية الرابعة عشر المنسوبة لدانيال النبي[٨]: من المعروف أنه وردت في سفر دانيال النبي نبوءات ارتبطت بنهاية الأزمنة، وهناك مجموعة أخرى من النبوءات الأبوكريفية المنحولة التى نسبت إليه، من ضمنها هذه النبوءة[٩]. تتناول هذه الرؤية تفسيرًا للأربعة وحوش المذكورين في سفر دانيال بحسب قول الملاك له، الذين هم أربعة ممالك، والرابعة تشير إلى أولاد الإسماعيليين الذين هم العرب. ويخرج من الوحش تسعة عشر قرنًا والتي فُسرت على أنها تسعة عشر ملكًا من ملوك العرب. بعد ذلك تتحدث الرؤية عن صراع بين

---

4 David Thomas et.al (eds.), *Christian – Muslim Relations. A Bibliographical History,* Vol. 1Leiden and Boston 2009pp.182–185.

٥ صموئيل معوض، *الأنبا شنودة رئيس المتوحدين: سيرته، عظاته، قوانينه*، الجزء الأول (سلسلة النصوص المسيحية في العصور الأولى)، القاهرة ٢٠٠٩، ص ١٠–١٨.

6 E. Amélineau, *Monuments pour servir a l'histoire de l'Egypte chretienne aux IVe, Ve, VIe, et VIIe siecles*, 2 vols, Paris, 1888-1895, vol. 1, pp. 338-351.

7 J. van Lent, *Coptic Apocalyptic writings from the Islamic Period*, Ph.D. Diss., Leiden University, in preparation (critical English tans. from Arabic).

8 David Thomas et.al, *Op.Cit*., 309–313.

9 L. DiTommaso, *The Book of Daniel and the Apocryphal Daniel Literature* (Studia in Veteris Testamenti Pseudepigrapha, vol. 20), Leiden 2005.

كيانَيْن أُعطي لهما اسم بيتورجوس وسيرابيدوس والذى رجح البعض أنهما يشيران إلى الأتراك والفاطميين. بعدها يقوم ملك روما ليهزم أبناء الإسماعيليين، وبعد فترة من الحكم يظهر جوج وماجوج وضد المسيح. يحث هذا النص على الاحتمال والبعد عن العنف والثورة ضد الحكم عن طريق إعطاء الأمل للشعب في زوال حكم الإسماعيليين. ولم يتناول النص أيًّا من العلاقات بين العرب والاقباط.

اختلف الدارسون حول تأريخ هذا العمل، فرجّح البعض أنه يعود إلى نهاية العصر الأموىّ في القرن الثامن، ولكن رجَّح البعض الآخر أنه يعود إلى العصر الفاطمي في القرن الثاني عشر، وحاول آخرون التوفيق بين الرأيين، أي أن النص الأصلي ربما يعود للقرن الثامن، وفى عصر الفاطميين حدث تطور للنص بإضافة أجزاء أخرى. وقد تكررت فكرة التسعة عشر ملكًا في نبوءات منسوبة لأنبا شنوده(١٠)، وأخرى منسوبة للقديس أثناسيوس، وثالثة لأنبا صموئيل. يبدو أن جميع هذه النصوص استندت إلى مصدر واحد. والنص القبطى لرؤية دانيال موجود في عدة مخطوطات، أهمها: مخطوط المتحف البريطانى عربى رقم ٦١٤٧ صفحات ٧٢ إلى ٧٤، ونشرها J.van Lent مع ترجمة إنجليزية(١١).

النبوءة المنسوبة لأنبا صموئيل المعترف(١٢) (٥٩٧م . ٦٩٥ م)(١٣): ولعل هذه النبوءة هي الأشهر على الإطلاق حتى يومنا هذا، وتُركز على فكرتين: الأولى هي ترك الكثير من المسيحيين إيمانهم بسبب الأتعاب الواقعة عليهم، والفكرة الثانية هي تخلي الأقباط عن لغتهم القبطية، واتخاذهم من لغة العرب لسانًا لهم. يُعد نص الرؤية المنسوبة للقديس أثناسيوس هو المصدر الرئيسي المُلهِم لكاتب نص الرؤية المنسوبة لأنبا صموئيل. الرؤية موجودة في مخطوط

---

10 David Thomas et.al., *Op.Cit.*, 411–413

11 J. van Lent, The nineteen Muslim kings in Coptic apocalypses. In *Parole de l'Orient* 25 (2000), pp. 643-693.

12 Cf. F. Ziadeh, L'Apocalypse de Samuel, supérieur de Deir-el-Qalamoun. In *Revue de l'Oient Chretien* 20 (1915-1917), pp. 374-404.

13 A. Alcock, *The Life of Samuel of Kalamun by Isaac the Presbyter*, Warminster 1983, p. ix–xi.

باريس عربى رقم ٦١٤٧ في الصفحات من ٢٠ إلى ٣٨[١٤].

وفي هذا المقال سوف نُسلِّط الضوء على الرؤية المنسوبة لأثناسيوس، حيث أنها من النصوص النادرة التي وصلنا منها النص القبطي وليس العربي فقط كباقي الرؤى.

التعريف بالعمل وأهميته:

وُجِدت هذه العظة في مخطوط اكتُشِف عام ١٩١٠ بجوار أطلال منطقة ديرية باسم رئيس الملائكة ميخائيل بالحامولي بالفيوم، وحُفظ ضمن مجموعة Pierpont Morgan في نيويورك. برقم M602. ويحوي المُجلّد سبعة أعمال أغلبها عظات عن رئيس الملائكة ميخائيل كانت تُتلى على مسامع الشعب في أعياده[١٥]. ويرجع مخطوط هذه العظة إلى منتصف القرن الثامن الميلادي تقريبًا. يبدو أن هناك ثلاث عظات لم يَكُن لها علاقة بالملاك ميخائيل في الأصل وأضيفت إلى هذه المجموعة مع إضافة أجزاء تَخُص رئيس الملائكة ميخائيل. هذه العظات هي: عظة عن الغني، وعظة عن الطمع والقتل، والعظة موضوع هذا البحث[١٦]. يقع نصُّ العظة في الصفحات من ٥٢ إلى ٧٧ حسب الترقيم الأصلي للمخطوط. وهذا المخطوط ليس هو النسخة الوحيدة لهذا النص باللغة القبطية، بل وُجِدَت له بعض شذرات محفوظة في المتحف المصري نشرها H. Munier ويحمل رقم[١٧] ٩٢٩٩، كما وُجدت له ترجمات عربية أخرى تعود لما بين القرنين الثاني عشر والتاسع عشر[١٨]، وهناك ترجمة عربية حديثة

---

[١٤] هناك العديد من النصوص الأخرى التي تناولت هذا الموضوع بأساليب عدة، ويمكن الرجوع إلى سلسة Christian – Muslim Relations A Bibliographical History للاطلاع على أعمال كل حقبة زمنية مع قائمة بالمراجع التى تناولت العمل وقامت على دراسته.

[١٥] تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بأعياد الملاك ميخائيل في اليوم الثاني عشر من كل شهر قبطي وخاصة ١٢ هاتور و ١٢ بؤونة.

[16] L. Depuydt , *Catalogue of Coptic Manuscripts in the Pierpont Morgan Library*, 2 vols. (Corpus of Illuminated Manuscripts, vols. 4-5, Oriental Series, vols. 1-2), Louvain 1993, Nr.162:3, pp. 224-230.

[17] H.Munier, *Catalogue general des antiques Egyptiannes du Musee du Caire, nos.9201-9304. Manuscrits coptes*, Le caire, 1916, p.177-79

[18] F.J Martinez, *Eastern Christian Apocalyptic in the Early Muslim Period: Pseudo-Methodius And Pseudo-Athanasius*, vol. 1, Ph.D. Disseration, Catholic University of America, Washington 1985, pp. 248–261.

طُبِعَت تحت عنوان "رسائل دينية قديمة" صدرت عام ١٩٢٥م[١٩].

قدَّم Tito Oralndi ترجمة إيطالية لنص العظة[٢٠]، ونشرها بعد ذلك F.J Martinez مع مقابلة النص مع إحدى الترجمات العربية القديمة لشخص يدعى سليمان بن تشبيش والذى لا نعرف عنه شيئًا سوى أنه من دير أنبا مقار[٢١]. كذلك نشر B. Wiette هذا النص مع ترجمة ألمانية[٢٢]، وأخيرًا قدَّم D. Groddek نشرة جديدة بها معالجة قوية للنص[٢٣].

ولعل هذا العمل يَكتسِب أهميته من رواجِه بين الوسط القبطي بشكل خاص على أنه نص من نصوص أثناسيوس القانونية، حيث يَتضِح من المخطوطات المتاحة أنه نُسِخ عدة مرات وتمت ترجمته إلى العربية عدة مرات أيضًا، بل والأكثر أنه يُعَدُّ مصدرَ إلهامٍ لمجموعة من الرؤى الأخرى التي تتعلق بدخول العرب مصر[٢٤].

مُقدِّمة عن النَّص

يتناول هذا النص بشكل واضح فكرة سادت، ولم تزل سائدة في المجتمع القبطي بشكل خاص، ألا وهي أن خطايا الإنسان هي سبب البلايا التي تحل عليه جرَّاء غضب الله. وهذه هي الفكرة الرئيسية التي بنى عليها الكاتب هذا النص الذى بين أيدينا، الذي هو مزيج من الأسلوب الوعظي والنبوءة.

في الجزء الوعظي (ف ١ ـ ٧)[٢٥] نجد حديثًا موجهًا بشكل خاص إلى

19 D. Groddek, *Ein Wildes Volk Ist Es: Predigt (Ps-Athanasius) über Lev 21,9, Ex 19,22, den Erzengel Michael und das Weltenende unter arabischer Herrschaft* (Corpus Islamo Christianum, Series Coptica, vol.1), Altenberge 2004, pp. 445-474.

20 T. Oralndi, *Omelie copte*, Torino 1981, pp.73-91; T. Oralndi, Un testo copto sulla dominazione araba in Egitto. In T. Orlandi, F. Wisse (eds.), *Acts of the Second International Congress of Coptic Studies, Roma, 22-26 September 1980*, Rome 1980, pp. 76-84.

21 F.J Martinez, *Op.Cit.,* pp. 285-441.

22 B.Witte, *Die Sunden der Priester und Mönche. Koptische Eschatologie des 8.. Jahrhunderts nach Kodex M 602*, 2 vols. (Arbeiten zum spätantiken und koptischen Ägypten, 13), Altenberge 2002, pp. 110-211.

23 D. Groddek, *Op.Cit* , pp. 120-197.

24 F.J. Martinez, *Op.Cit.,* p. 267.

٢٥ اتبعت هنا نفس تقسيم الفقرات التي وضعها F.J Martinez في نشرته.

جماعة الكهنة والرهبان والأساقفة، فالكاتب يعطي تحذيراتٍ شديدة اللهجة إلى هذه الفئة التي من المفترض أنها هي التي تقود جموع الناس وتُرشِدها. في البداية يتحدَّث الكاتب عن دحض جماعة أريوس وأعوانه والتمسك بإيمان الكنيسة المصرية المستقيم، ويؤكد على صحة إيمان الكنيسة بخلاف كنيسة الروم[٢٦]، ثم يتوجه بتحذيراته إلى جماعة الكهنة والرهبان، مُوبِّخًا إيَّاهم ومحذِّرًا لهم أن خطايا الشعب قد كَثُرَت بسبب آثامهم وإهمالهم وتهاونهم. ، ويُسَلِّط الكاتب الضوء بشكل خاص على الخطايا الأخلاقية، مثل: الزنا وسرقة أموال الأرامل واليتامى والمحاباة، إلى آخره، ويحذِّر من أن ما سيقع على الشعب من آلام واضطهادات ومعاناة، خاصة بعد دخول العرب، هو بسبب غضب الله على شعبه نتيجة خطاياهم. هنا نتطرق للجزء التنبوءي في النص فيسرد حال الأقباط في أحد العصور العربية (ف ٨ ـ ١٠) ألا وهو العصر الأمويُّ، فيتحدث عن تلك الجماعة التي مقرها دمشق والتي عددها مثل الجراد في ربوع مصر، وتُسبب الألم والمعاناة لأبناء الشعب، وسَيَعْقُب دخولهم كوارث عدة من أوبئة وأمراض وحالات تَصحُّر وجفاف. كذلك يصف تلك الجماعة بالقسوة وأنهم سيتسببون في آلام كثيرة للشعب، ثم يسرد مجموعة من الأحداث المتعاقبة، مثل: التعداد، وسوء الحالة الاقتصادية، ونهب الذهب والممتلكات، ولجوء الأقباط إلى البراري من شدة الضيق. وفي النهاية يتناول النص مجموعة من الأحداث الأخروية (ف ١٠ ـ ١٢) مثل أن الكنائس تكون مفتوحة والقداس قائم بلا مُصَلِّين، وأن الكهنة والأساقفة يُسامون في سن الحداثة، وتنتشر الخطايا بين البشر وبين الشمامسة والكهنة والأساقفة والرهبان، مثل قبول الرشاوى ونهب أموال الأرامل، وأن الأرض لا تَعُود تجود بالخير ويشِحُّ إنتاجها. وبعد هذه الأحداث كلها يأتى المسيح في مجد أبيه على السحاب ليُخَلِّص البشر من آلامهم وأتعابهم ويجازي كل واحد حسب عمله.

[٢٦] كانت الكنيسة جماعة واحدة حتى مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م والذى عُزلت فيه كنيسة مصر عن الكنيسة الجامعة. ومنذ هذا اليوم انقسمت الكنيسة الواحدة وانشقت الى اثنتين (الكنيسة القبطية والكنيسة الملكانية) ونشأ بينهما صراع دامَ لقرون عدة ظهر خلاله تمسك الكنيسة المصرية الشديد بفكرها والمعارضة الشديدة لعقيدة كنيسة الروم مما أدى إلى ظُلم واضطهاد للكنيسة المصرية.

وفى عرض النص آثرتُ أن أُقدِّم مُختصَرًا وعرضًا لأهم ما جاء في الفقرات عدا فقرة رقم ٩، فقدَّمتُ لها ترجمةً كاملةً عن النص القبطي الصعيدي، حيث أنها تمثل الجزء الأهم في هذا النص لتناولها الأحداث المتعلقة بحال الأقباط في العصر الأموى، وقد ترجمتها عن النص الذي نشره D. Groddek.

عرض لأهم ما ورد في الفقرات من ١ إلى ٨ :

يبدأ النص بافتتاحية[٢٧] مطلعها أن الكاتب هو القديس أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندريَّة. ويفتتح الناسخ المقدمة بقول الكتاب "إذا زنت ابنة الكاهن فتُحرق بالنار، لأنها قد فضحت أباها"[٢٨]. ويُقدم نصيحة للكهنة بأن يتطهروا كي لا يهلكوا؛ لأن الآلام العظيمة التي ستلحق بالشعب هى بسبب خطايا الكهنة والرهبان. بعد ذلك يذكر الناسخ أن أثناسيوس قد كَتب هذه الرؤية بعد عودته من المنفى من جزيرة تدعى أوراطوس[٢٩]، ثم يتحدث عن بعض الشخصيات، أمثال أرسانيوس الشماس ولوقيوس وسيأتى بعد ذلك ذِكْر جرجيوس، على أنهم من المخالفين الأريوسيين[٣٠]. وفى ختام الافتتاحية يَذكر أن النص كُتب في الثاني عشر من هاتور[٣١] في كنيسة

---

٢٧ عند نِساخة الكُتَّاب الأقباط للنصوص كانوا يضعون قبل النص ما يُسمَّى بالعُنوان أو الافتتاحية وهى عبارة عن فقرة قد تَطول أو تَقصُر على حسب وصف الناسخ للنص. انظر:

Paola Buzi, Titles in The Coptic Manuscript Tradition: Complex Structure Titles and Extended Complex Structure Titles. In M. Immerzeel et al. (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium*, (Orientalia Lovaniensia Analecta, vol. 133), Leuven 2004, pp.309-316.

٢٨ عد ٢١ : ٩.

٢٩ ⲟⲩⲣⲃⲁⲧⲟⲥ. من الواضح أن الناسخ لم يكن على دراية بأسماء الجزر حيث أن هذا الاسم ليس له وجود ولكنه كان متداولاً بين النُسَّاخ الأقباط حيث ورد ذكره في أكثر من نص آخر، مثل العظة عن اثناسيوس المنسوبة للبابا كيرلس الكبير.

٣٠ جرجيوس ولوكيوس كانا من حلفاء أريوس، والأول منهما تسلَّط على كنيسة الإسكندرية بعد موت أريوس لمدة دامت ست سنوات، وكان رجلاً عنيفًا دمويًّا حتى أنه كان يقتل من الأقباط كل من يجده تابعًا لإيمان أثناسيوس، ولوكيوس أيضًا عُرف بعنفه وأنه أحاط نفسه بحراس وثنيين وقام بتعذيب التابعين لإيمان لأثناسيوس. أما فيما يتعلق بأرسانيوس فلم يُعرف بعد مَن هي الشخصية المقصودة. للمزيد عن هذه الشخصيات يمكنك الرجوع إلى:

Henry Wace, *A Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D., with an Account of the Principal Sects and Heresies, Grand Rapid*, MI: Christian Classics Ethereal Library, 2000, pp. 387-388, 673.

٣١ عيد رئيس الملائكة ميخائيل.

الملاك ميخائيل.

(١) في الفقرة الأولى من النص يبدأ الكاتب[٣٢] حديثه بالانتصار على الهراطقة الذين اختفوا كالأفاعي المسمومة في الجحور، أمثال جرجيوس ولوكيوس وأرسانيوس، ثم يعبِّر عن فرحته برؤية الإيمان الأرثوذكسي السليم في قلوب المُرسَل إليهم هذه الرسالة بعد غيبة دامت سبع سنوات، داعيًا الجميع أن يفرحوا معه، ويوصيهم بأن يَحفظوا الأمانة المستقيمة إلى النَفَس الأخير، وأن يبتعدوا عن الهراطقة الذين بسببهم يأتى غضب اللّه على العالم.

(٢) في الفقرة الثانية يشير الكاتب بوجه عام إلى ارتداد الكثيرين في آخر الأيام عن الإيمان المستقيم، وأنهم سيصنعون مَكَارِه أمام الرب. بعدها يَخصُّ الأساقفة والقسوس والشمامسة بالكلام، فيقول إن الكثيرين منهم سيتركون الأمانة المستقيمة، ويلتصقون بالهراطقة سعيًا للسلطة والمجد الباطل. ويضرب الكاتب مثالاً بأرسانيوس الشماس الجاهل المتعالي، الذي اشترك مع جرجس الأريوسى ولوقيوس. أخيرًا يُحذِّر من أن كل من يتبارك من هؤلاء أو حتى يأكل معهم هو ملعون من الكنيسة، حيث أن مصير هؤلاء الهراطقة النار الأبدية.

(٣) يستطرد الكاتب في تحذيراته للكهنة، ناصحًا إياهم أن يُعلِّموا الشعب حسب الكتب؛ لأنهم سيُحاسبون عن أنفُسِ هذا الشعب أمام اللّه. يجب على الكهنة أيضًا ألا يتوانوا في التعليم أو يفرّطوا في القطيع، لئلا يأتي السيف عليهم وعلى الشعب. هنا يُذكِّرهم الكاتب بما حدث مع ناداب ابن هارون الكاهن[٣٣]، وأبيرام ابن عالي الكاهن[٣٤]، اللذين صنعا الآثام في الهيكل، ويقول" *إن كان اللّه لم يُشفق على أولئك من أجل آبائهم الأبرار (...) فكيف يُشفق علينا نحن الكهنة الذين نقسم جسده المقدس بأيدينا ونسكُب دمه الكريم في الكأس ونناوله له (للشعب) (...) فإن كان اللّه غضب على هؤلاء وأفرزهم (...) .فأي إفراز وغضب سوف يلحقنا نحن الكهنة إذ خالفنا*

[٣٢] كلمة (الكاتب) منذ الآن فصاعدًا المقصود بها هو الشخصية المجهولة التى كتبت العمل ونسبته إلى أثناسيوس.

[٣٣] لا ١٠ : ١- ٧؛ عد ٢٦ : ٦١.

[٣٤] عد ١٦.

وصاياه" وفي ختام الفقرة يؤكِّد الكاتب على وجوب تَطهُّر الكهنة لئلا يُهلك الرب قومًا منهم[٣٥]، مفسرًا التطهر أنه الابتعاد عن الشرور، مثل: الحسد، والمكر، ومحبة الخزي، والربا، وشرب الخمر، والمزاح، إلى آخره من خطايا الجسد.

(٤) في هذه الفقرة يتوجه الكاتب بالحديث إلى الكهنة بجانب الرهبان، ونجده يُحذِّر من الاستهانة بالوقوف أمام الله على مذبحه المقدس وأمام ملائكته، فيقول: "*لولا رحمة الله لكنت تجد قسوسًا كثيرين وشمامسة مطروحين* أمواتًا *حول المذبح*". بعدها يُنذِر الأساقفةَ من تقاضي المال على المواهب المعطاة لهم من الله[٣٦]، ومن محاباة الآخرين، ورفض المساكين، وعدم رحمة الأيتام والفقراء، والتضييق على الأرامل. فإن فعل الأسقف شيئًا مما سبق فأسقفيته تُعتبر فارغة، ورتبته يجب أن يُبكى عليها، ويُصبح حينئذ كالغني الغبي[٣٧]. أخيرًا يؤكد الكاتب أنه واجب على الأسقف أن يكون بلا علة[٣٨].

(٥) في هذه الفقرة ينتقل الكاتب من التخصيص إلى التعميم، ويعود بحديثه إلى عامة الناس، فيبدأ بتوبيخ كل من يحمل عداوة وبغضة ضد أخيه، موضحًا من خلال أسلوب طباق، التناقض بين ما يطلبه المرء في صلاته وبين ما يفعله، مثل: "*أنت تقول بفيك: أبانا الذي في السموات، لكنك لا تصنع أعمال البنوة!*" أيضًا تقول: "*اغفر لي كما أغفر أيضاً لمن لي عليهم، وتقول أيضًا*[٣٩]: *إني أغفر، وأنت تعادي أخاك، فأنت كاذب قدام الله*"[٤٠]. بعدها ينتقد الكاتب مُداينة الأرامل وأخذ الصكوك منهن بالربا، ويبين التناقض بين هذا الفعل وبين القول "*اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن أيضًا*"[٤١]. أيضًا

---

٣٥ عد ٥٨ : ١٥.

٣٦ متى ١٠ : ٨ ؛ أع ٨ : ١٨ – ٢١.

٣٧ لو ١٦ : ١٩ – ٣١.

٣٨ اتى ٣ : ٢.

٣٩ الاقتباس بعد "تقول أيضًا" من الترجمة العربية.

٤٠ ايو ٢ : ٩ – ١١.

٤١ مت ٦ : ٩ – ١٥.

يُوبِّخ الكاتب بشدة كلَّ مَن يُكِنُّ العداوة لأخيه ثم يذهب بكل بساطة للتناول من الأسرار[٤٢]، ويوضح أن هذه خطية صعبة وعظيمة، وأن طرح الجسد على الأرض لأهون من أن يُعْطَى لإنسان هكذا. في الختام يَحُثُّ الكاتب الجميع على التوبة والتَطهُّر، والعطف على المسكين، ورد الأموال للأرامل، مستشهدًا بقول الكتاب: *"إنكم إذا فعلتهم بأحد هؤلاء الأصاغر فبى قد فعلتم"* [٤٣].

(٦) تبدأ هذه الفقرة بموضوع آخر تمامًا يَخُصُّ الملائكة. يفتتح الكاتبُ الفقرة بسؤال عن: لماذا يحب الله رئيس الملائكة ميخائيل، ورئيس الملائكة غبرييل أكثر من جميع الملائكة؟ ثم يتناول مجموعة من الأفكار عن رئيس الملائكة ميخائيل، مثل أنه هو الواقف أمام الله يتوسل إليه في كل حين من أجل غفران خطايا البشر. تناول الكاتب فكرة أُخرى هي أن الشيطان هو عدو الإنسان وهو الذى يُتعِبه؛ لذلك ألقاه الله من مجده الذى كان فيه. وصف الكاتب رئيس الملاك ميخائيل بأنه محب البشر الصالح والواقف عن يمين القوة، والذى يتوسل في كل حين لأجل خلاص البشر، طالبًا الرحمة من أجل جنس البشرية. بعدها يتوجَّه الكاتبُ بالحديث إلى البشرية قائلا: *" نعلم أن لدينا هناك الكثيرين يُحاربون عنّا، فلنتسلح إذًا بسلاح الفضائل، كُلٌّ قدر طاقته"* [٤٤]. ثم يتحدث الكاتب عن الصوم، ويقول إنه من الواجب الالتزام بصوم الأربعاء والجمعة على الأقل. يعود الكاتب بالحديث عن اشتهاء امرأة الغير، والزنى الذي هو مكرهة للرب وملائكته؛ ومرة أخرى يذكر القول الكتابي *"إذا زنت ابنة الكاهن ..."* التي وردت في مقدمة النص. يبدو أن هذا الحديث كان مُوجهًا إلى جميع الناس دون تخصيص فئة معينة؛ ولكن في

---

[٤٢] مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤.

[٤٣] مت ٢٥ : ٤٠.

[٤٤] يبدو أن الناسخ القبطي قام بإضافة فقرة تخص الملاك ميخائيل والملاك غبريال حتى يتمكنوا من إلقاء العظة على مسامع الشعب في أعياد الملاك، وافتُضِح هذا الأمر من خلال الترجمة العربية للناسخ والمُترجم للنص عن القبطية، واسمه سليمان تشبيش، حيث لم توجد هذه القطعة في الترجمة، مما يعنى أنه ربما كان يُترجم من نسخة أخرى، وأيضًا من تتبُع أسلوب النص. فالفقرة المضافة يختلف أسلوبها بالكلية عن الأسلوب العام للنص وان وجودها قطع التسلسل المنطقي لأفكار النص.

تعليق الكاتب على الآية اتضح أنه موجه للكهنة حيث يُكمِل: إنْ كان اللّه قد أمر أن تُحرق ابنة الكاهن إن زنت، فكم وكم إذا زنا الكاهن نفسه؟ كم مرة يستحق أن يُحرق إذا زنا أو سار في طريق الهراطقة، الذين قسموا وحدانية اللّه الكلمة إلى طبيعتين أو استمع إلى كلام أريوس الفاسد الذى قسم لاهوت اللّه إلى اثنين؟ وتُختم القطعة بتحذير للكهنة، أن يُدركوا قيامهم أمام الملائكة ورب الأرباب، فيجب عليهم أن يبتعدوا عن ممارسة الأعمال الرديئة، حتى لا تسقط عليهم اللعنات وتظهر فضيحتهم أمام الجميع.

(٧) يبدأ الكاتب بداية من هذه الفقرة باستخدام الأسلوب النبوي، ويعبر عن حزنه الدفين لما سوف يحدث في آخر الزمان بسبب الخطايا التى سيمارسها البشر، ولا سيما الأساقفة والكهنة والرهبان. يبدأ الكاتب في رصد سلسلة من الخطايا الأخلاقية الواحدة تلو الأخرى، مثل: محبة رجال الأكليروس للفضة وللمجد الباطل، ومحبة الأكل والشرب والربح الخاطئ. أما عن الرهبان فيذكر الكاتب أنهم يخالفون النواميس ووصايا اللّه التى تسلّموها، ويأكلون ويشربون مع العلمانيين، ويدخلون البيوت مع النساء، ويتاجرون مثل العلمانيين، فيصيرون مجالاً للانتقاد من العلمانيين.

(٨) في الفقرة الثامنة يرسم الكاتب صورة للمعاناة التى سيتعرض لها الأقباط؛ وذلك بسبب هول خطايا الرهبان والأساقفة، ويوضح أن اللّه سيقيم عليهم أمماً تتعبهم وتهدم أديرة كثيرة. يستمر الكاتب طوال الفقرة في سرد بعض الخطايا وما سيترتب عليها من نتائج ؛ فيكرر مرة أخرى أن الأساقفة والرهبان سيسكنون المدن، ويتاجر الرهبان مثل العلمانيين ناسين قوانين الآباء، وسيكونون متعالين بلا رحمة، وسيتبارك الناس منهم كأناس اللّه . أما عن البشر أجمعين، فيحيدون عن طريق اللّه، وسيتمكن الفقر منهم. لن يُرحمَوا من الرؤساء، حتى الفقير منهم، وسوف تُجرّدهم الأمم الحاكمة من الفضة والذهب والقمح والزيت والنبيذ ومن كل شيء حتى يصيروا فقراء. يعود الكاتب ليذكر خطايا الإكليروس: الأساقفة يرتشون، والكهنة يزنون، ويطرد كثيرٌ من الرجال نساءهم ويأخذون غيرهن من أجل الشهوة، وأساقفة وكهنة ذلك الزمان لن يكونوا مثالاً للمعلمين الصالحين ولن يعظوا حسنًا،

وسيعُم الجهلُ بين الناس. سيلحق الإثم بجميع الرتب الكهنوتية السبعة: من الأسقف وحتى البواب. سيحلُّ على الناس رجسُ الخراب المذكور في دانيال النبي بسبب تلك الخطايا جميعًا، حيث جعلوا بيت الله مكانًا للدعارة وموضعًا للأكل والشرب. يسترسل الكاتب مرة أخرى ويعود فيذكر خطايا الشعب والإكليروس ثانية، ثم يختم بأنَّ ملوكًا وأساقفة كثيرين سوف يتركون الأمانة المستقيمة، ماعدا كرسي مار مرقس الذي سيحفظ الأمانة المستقيمة، أما الباقين فيقسمون وحدانية الثالوث إلى طبيعتين.

الترجمة عن النصِّ القبطيِّ الصَعيديِّ:

(٩،١) وبعد هذا[٤٥] يغضب الله الصالح؛ لأنهم أفسدوا الأمانة المستقيمة التي للثالوث المساوي، وسوف يُقسِّم ممكلة الروم، [تلك التى استمرت منذ حُكم[٤٦] القيصر أوغسطس، وسوف ينزع منهم مصر] وبلادًا كثيرة، وسوف يسحق سلطانها لأجل أمانتهم التي ابتدعوها[٤٧]، أي الطبيعتين .

ويدفع السُلطة إلى ملوك الفرس زمنًا قليلاً، فيبتلون الأرض في أيامهم ويجلبون العار على أبناء البشر، ويصنعون آثامًا عظيمة على الأرض. وسيرى الله الفرس أنهم فوضويون. ترتفع آثام الساكنين على الأرض جدًّا، فيصنعون خطايا عظيمة في تلك الأيام مثل سدوم وعمورة.

(٩،٢) بعد ذلك سوف ينزع الله سُلطان ملوك الفرس من أيديهم، ويُهيِّج شعبًا عظيمًا على الأرض مثل الجراد؛ الذي هو الوحش الرابع، الذي نظره دانيال النبي الأمين[٤٨]. هو مَخوف أكثر من كل الوحوش الذين سبقوه. يأكل ويمضغ ويطأ ما تبقى بقدميه. ذلك الشعب سوف يسود على الأرض. يدرُس ويُذَرِّى الممالك كلها في آخر أيامه، مثل الحنطة التى تُدرَس وتتغربل مع الريح.

---

٤٥ هنا تبدأ الترجمة من القبطية الصعيدية.

٤٦ زمن.

٤٧ صنعوها.

٤٨ دا ٧ : ٧.

(٩،٣) سوف تَسُود تلك الأمة على بلدان كثيرة، وسيُدفع لها الجزية. إنها أمة ضارية ليس في قلبها أي رحمة. لن ترحم شيخًا، ولن تُشفق على شاب؛ لأجل أن خطايا الساكنين على الأرض ارتفعت جدًّا أمام اللّه. سوف تُروِّض تلك الأمة الساكنين على الأرض بمجون[٤٩] شديد، فتهلكهم وتجعلهم هباءً وتسلبهم، وكمثل الحديد تُطوِّع[٥٠] كلَّ شيء وتجعله رِقًّا. ثم إنها (تلك الأمة) سوف تُهلِك البلدان جميعًا بسلطان قوي كيما يستمرون في دفع الجزية لها .

(٩،٤) لأن عُنُقها غليظ جدًّا أكثر من الحديد، وسوف تُثقِل بنيرها على الساكنين في الأرض[٥١]، ضاربة أبناء البشر، (وهذا) بسبب خطاياهم؛ لأن آثامهم قد كثرت جدًّا وارتفعت إلى السموات. لأجل هذا أسلمهم اللّه في يد الأمم التي سوف تُؤَدِّبُهُم.

(٩،٥) نظرًا لأن تلك الأُمَّة أُمَّة قاسية متعالية بلا شفقة وغليظة، فسوف تحارب بلدانًا كثيرة وتسلبها، وسوف تخضع (البلدان) لها ولسلطانها، مُعطية لها الجزية [.....].

(٩،٦) الويل لأرض مصر، و[....] وبيت عنيا، والبلدان جميعًا. سوف تُبتَلى جدًّا وتُخْرَب في تلك الأزمنة، التي تمَّ عليها (أى البلدان) الكلام المكتوب: الويل لهم الذين حادوا عن (طريق) اللّه[٥٢]؛ إذ أن مسكنة ستلحقهم، لأنهم أخطأوا بحقِّه[٥٣]. سوف يؤخذ ذهبهم وفضتهم ونحاسهم وحنطتهم وخمرهم وزيتهم وحتى ملابسهم، وكل ما لهم سوف يبيعونه عن جزيتهم. سوف تُهلك تلك الأمةُ الأرضَ وتجعلها خرابًا مثل عش الطير [.....]. سوف يُدمرون المدن الحسان والقُرى ويُخربونها ويغربلونها ويُهلكونها. فيأتي اللّه بهذه كلها على أبناء البشر بسبب خطاياهم وآثامهم؛ لا سيما من أجل خطايا الكهنة

---

[٤٩] بلا خشية.

[٥٠] يُروض.

[٥١] تث ٢٨ : ٤٨.

[٥٢] مز ١١٩ : ٢١.

[٥٣] تعدوا عليه.

والرهبان، أولئك الذين يَحيدون في آخر الزمان.

(٩،٧) الويل للأرض والساكنين عليها، لأن هذا هو المخاض الأخير. سوف تكثر تلك الأمة جدًّا مثل رمل البحر. مسيحيون كثيرون، بربر وباشانيون وسوريون ومن كل القبائل سوف يختلطون معهم في إيمانهم؛ راغبين في أن يُعتَقوا من التعب الواقع عليهم على الأرض. سوف تستوطن هذه الأمة بلادًا كثيرة، وسوف تَسُود عليها وترثها[٥٤]. كبيرهم في المدينة المدعوة دمشق، التي معناها المنحدرة إلى الجحيم.

(٩،٨) سوف ينهبون[٥٥] الذهب كله والفضة والأحجارالكريمة والنحاس والحديد والرصاص والملابس الحسنة. اسم تلك الأمة هو صراصين[٥٦]، الذين هم من الإسماعيليين أبناء هاجر خادمة إبراهيم . يحكم هؤلاء الأرض كلها بفوضى ويجعلونها قفرًا؛ لأنهم يتسلطون بسلطان قوي، سالبين ممتلكات الكثيرين، جاعلين إياهم مُعوزين.

(٩،٩) بدايةً سوف تفسد تلك الأمة الذهب الذي عليه صورة صليب ربنا وإلهنا. تجعل البلاد كلها التي تحت سلطانها يصكون الذهب الخاص بها، الذي اسم الوحش مكتوب عليه، الذي عدده ٦٦٦ في اسمه[٥٧]. بعد ذلك تُحصي الشعب وتكتب أسماءهم في كتبهم، و تفرض عليهم ضريبة كبيرة إلى أن يعوزوا الخبز. يبيع كثيرون أبناءهم وبناتهم لأجل أن تلك الأمة قد أضنتهم. بعد ذلك تنهب[٥٨] الأرض كلها والكروم والبساتين و تُحصي البهائم. تعمل هذا لأجل عِلل، كيما تجد ما تسعى وراءه، أي الذهب.

---

[٥٤] تكون من نصيبهم.

[٥٥] يجمعون.

[٥٦] ϲⲁⲣⲁⲕⲏⲛⲟϲ هذا هو اللقب الذي أُطلق على العرب بشكل عام منذ القرن الرابع الميلادي، وهو لقب عُرف به المسلمون فيما بعد. انظر:

P. Mayerson, The Word Saracen (CARAKHNOC) in the Papyri. In *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik 79* (1989), pp. 283–287.

[٥٧] رؤ ١٣ : ١٨.

[٥٨] يأخذون.

(٩،١٠) لكن في آخر أيامهما سوف تحدث هذه (الأمور). سوف تبتلي المسكونة كلها بأتعاب شديدة واضطرابات عنيفة[٥٩]: تطارد الهاربين في المدن والقرى وفى كل موضع؛ تطرحهم في الحبوس وتعذبهم؛ لأن كثيرين يتركون مدنهم وقراهم في تلك الأزمنة ويتغربون بسبب التعب القاسي. الويل للأرض والساكنين عليها؛ لأن في تلك الأزمنة [....] الضيقات التي سوف تلحق بالأرض، وسيصير كل إنسان مثل أولئك الذين في مُخاض الموت كل حين[٦٠].

عرض لأهم ما جاء بالفقرات من ١٠ إلى ١٢:

(١٠) بالرغم من كل هذه المتاعب، إلا أن الناس لن يتوبوا، بل يزيدون خطية على خطية. ثم يتناول الكاتب مجموعة من الخطايا الأخلاقية الأخرى، مثل الزنا مع الحيوانات، وكسر الأصوام، وانتشار الكذب والقَسَم الزور، وازدياد الكراهية والخيانة بين البشر، وأنهم سيسلمون بعضهم للأعداء. وسينتج عن ذلك أنهم سيقعون تحت ضعف الجسد وتحت العوز والاحتياج، وستُنزع البركة من النيل ومن الزروع والزيت، ولن تمطر السماء، وستجف المياه من الأنهار، حتى يعبر الناس بأرجلهم. سيصرخ الناس من شدة الآلام التي ستحل عليهم، ولا يستجب الله لهم من شدة الخطية[٦١]. وفي ختام الفقرة يتحدث الكاتب عمّا سيحدث في الكنائس وقت الصلاة، فيقول إن أبواب الكنائس تكون مفتوحة ولا يوجد من يدخل، والجسد والدم موضوعان على المذبح بينما الناس في الأسواق؛ ويعبر الناس جوار الكنيسة أثناء القداس متسائلين إلى أين وصلوا في الصلاة. فمتى علموا أن القداس أوشك أن يفرغ، يدخلون للتناول من الأسرار بتهاون، حتى أنها تسقط على الأرض ولا يعبأ أحد؛ ثم يمضى كل واحد إلى ملاهيه. كل هذا بسبب نظرهم إلى خطايا الكهنة والرهبان.

(١١) سيصير بيت الله موضعًا للهزل والضحك. كما يذكر الكاتب أن

---

٥٩ جافة.

٦٠ هنا تنتهى الترجمة عن القبطية الصعيدية.

٦١ ميخا ٣ : ٤.

الكنائس ستفرغ من المصلين بسبب كثرة المتاعب التي ستلحق بالناس، وسينوح الكل من شدة الخراب الذي سيلحق بالبلاد. ويثير الكاتب نقطة أخرى عن أحداث آخر الأيام من وجهة نظره فيقول: إنك تُبصر الكهنة والشمامسة بلا ذقون ويسامون في سن صغير!. تجد أيضًا الأساقفة ورجال الإكليروس في خدمة السلاطين، ويقبل القسوس والشمامسة الرشوة والربا، وكثير منهم يزنون. ويستمد الكاتب فكره من الكتاب المقدس حول آخر الزمان فيقول: الويل لهذا العالم فإنه تقوم أمّة على أمّة ومملكة على مملكة[٦٢]، ثم يأتى ضد المسيح والجميع وقتها سيكونون في ضيق عظيم، بعدها يأتى ابن البشر على سحاب السماء بقوة ومجد ليدين الجميع ويجازى الهراطقة الذين خالفوه[٦٣].

(١٢) في ختام النَصّ يطلب الكاتب من رجال الإكليروس أن يحفظوا أنفسهم طاهرين، ولتكن سيرتهم نقية، ويحث الجميع على الصلاة والسهر لاستعطاف مراحم الرب. وفى النهاية يختتم بفقرة عن رئيس الملائكة ميخائيل شفيع المسيحيين الذي يتوسل إلى الله لأجل مياه الأنهار، ويطلب من الرب عنّا حتى يُنجّينا من مكائد الشرير.

والآن، وبعد قراءة محتويات النص، فلنتطرق لدراسة بعض النقاط:

بعض التفاصيل لإثبات أصالة النص من عدمه، وعمّا إذا كان أثناسيوس قد كتب هذه الرؤيا أم لا:

أولاً: بعض المغالطات التاريخية الواردة في النص :

(١) في الفقرتين السادسة والثامنة يتحدث الكاتب عن أريوس وفكرة الطبيعتين وتقسيم وحدانية الله. ولعل الكاتب خلط ما بين أمرين: تعاليم أريوس الفاسدة وانشقاق ميليتوس أسقف أسيوط، وبين ما ورد في مجمع خلقيدونية حول فكرة تقسيم طبيعة السيد المسيح إلى طبيعتين، واعتبار هذه

---

[٦٢] مت ٢٤ : ٧.

[٦٣] رؤ ٢٢ : ١٢.

الفكرة هرطوقية من قِبَل كنيسة الإسكندرية(٦٤). لعل هذه أول مغالطة تاريخية وردت في النص حيث أن الفارق الزمنى بين الصراع بين أثناسيوس وتعاليم أريوس الفاسدة، وبين مجمع خلقيدونية حوالي قرن من الزمان وربما أكثر (أثناسيوس الرسولي بطريركًا من ٣٢٨م إلى ٣٧٣م، ومجمع خلقيدونية ٤٥١م)(٦٥).

(٢) في الفقرة الثامنة من النص ورد تأكيد على الإيمان المستقيم الذى تركه الكثيرون ما عدا كرسي مار مرقس الذي حفظه بأمانة. فالتأكيد هنا على مار مرقس وبطاركة الإسكندرية على أنهم خلفاؤه الشرعيون ظهر وبشدة بعدما فُصِلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الجامعة في قرارات مجمع خلقدونية(٦٦).

(٣) في الفقرة الثامنة يذكر الكاتب الرتب الكهنوتية السبعة، من الأسقف إلى البواب. هذه الرتب لم تكن في صورتها تلك في عصر البابا أثناسيوس، البطريرك العشرين. ولكن وردت هذه الرتب في القانون العاشر من القوانين المنسوبة خطأ للبابا أثناسيوس الرسولي في نسختها العربية، إذ يذكر: "لأن بسبعة أعمدة دعمت الحكمة بيتها وسبعة أرواح الله الكاملين في البيعة، الذين هم الأساقفة، والقسوس، والشمامسة، والنصف شمامسة، والأغنسطسيين، والمرتلين، والبوابين"(٦٧). يُرجِّح الراهب القس أثناسيوس المقاري في كتابه عن قوانين البابا أثناسيوس أنها ربما تعود إلى أواخر القرن الخامس(٦٨).

[٦٤] ف. سى. صموئيل، مجمع *خلقدونية – إعادة فحص. بحث تاريخي ولاهوتي* ، ترجمة عماد موريس إسكندر، القاهرة ٢٠٠٩ ، ص ١٤٧– ١٧٥ ، ٢٢٣–٢٢٥ .

[٦٥] تادرس يعقوب ملطي، *نظرة شاملة لعلم الباترولوجى في الستة قرون الأولى*، الإسكندرية ٢٠٠٨، ص ٧٨.

[66] Stephen J. Davis, *The Early Coptic Papacy. The Egyptian Church and Its Leader in Late Antiquity*, Cairo, New York 2004, pp. 2-14.

[67] Wilhelm Riedel, *The Canons of Athanasius of Alexandria. The Arabic and Coptic Versions*, London 1904, p. 59.

[٦٨] الراهب القس أثناسيوس المقاري، *قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية*، (مصادر طقوس الكنيسة جـ ١)، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٢٧٢–٢٩٩.

ثانيًا: نظرة عامة على أسلوب الكتابة والأفكار الواردة في النص ومقارنتها مع كتابات أثناسيوس:

إذا قمنا بتقسيم الأفكار الواردة في النص إلى مجموعة من الأفكار الرئيسية، سنجد تأثُّر الكاتب بفكرة عامة سيطرت على النص بأكمله، وتفرَّعَت هذه الفكرة إلى مجموعة من الأفكار الرئيسية الأخرى. هذه الفكرة العامة هى أن ما نعانى منه من ضيقات وتجارب هو نتاج الخطية التي سببت غضب اللّه. وظّف الكاتب هذه الفكرة العامة وتفرَّع منها إلى مجموعة من الأفكار الرئيسية الأخرى، مثل:

(١) الضيقات التى كانت في زمن الكاتب نتاج خطايا الشعب التي انتشرت، وبالأخص خطايا الرهبان والأساقفة والكهنة والشمامسة. بل إن خطايا الشعب هى نتيجة إهمال وتهاون رجال الإكليروس حتى أضحوا مجال فحص وتمحيص من الناس.

(٢) استخدام اللهجة التنبوءية في الحديث مثل "في آخر الأيام ....". هذه الفكرة أيضًا خدمت الفكرة الرئيسية عن طريق تهويل وتعظيم الأحداث. حيث سعى الكاتب إلى توحيد الصف والرجوع بقلب واحد إلى اللّه وتثبيت الأنظار نحو السماء في انتظار مجيء المسيح.

(٣) استخدام الكاتب في المقدمة لهجة الفرح بإيمان الكنيسة المستقيم ليُذكّر الناس بما كانوا عليه وما آلوا إليه.

اعتمد الكاتب في أسلوبه كثيراً على الاقتباسات النصية، إما بشكل واضح وصريح أو عن طريق اقتباس المعنى وإعادة صياغته. أما جُمل النص فحوت العديد من التكرارات اللفظية، بل إن كثيرًا من الأفكار كانت تتكرر في فقرات مختلفة.

هنا يطرح السؤال نفسه: هل تناول أثناسيوس هذه الأفكار في كتاباته؟ هل كانت تشغله حقًا؟ هناك أمر يجب أن يوضع في الحُسبان، ألا وهو: حينما يكتب آباء ومعلمو الكنيسة رسائل، يتمركزون حول ما يشغل الرأى العام

من مشاكل وقضايا إنسانية وروحية وأخلاقية وإيمانية. في العموم يستقي الكاتب أفكاره من البيئة المحيطة والثقافة السائدة في عصره. فما الأفكار التى كانت تشغل أثناسيوس آنذاك في عصره؟ وما هي الأفكار التي تناولها في كتاباته؟

بالتأكيد كانت القضية الهامة آنذاك هى قضية الانشقاق الذي ظهر في الكنيسة مع ظهور ميليتوس أسقف أسيوط وجماعته، بجانب قضية أريوس، فكان يشغله إذًا الصراع مع الأريوسيين والمليتين.

أكّد القديس أثناسيوس في كثير من كتاباته على محاكاة القديسين والتمسك بتعاليمهم دون تحريف، عارضًا نماذج من العهد القديم؛ تحدث أيضًا عن البتولية والزواج، وكيف أن لكل منهما فضائله، وأن العذراء لا تمتلك طبيعة أفضل من المتزوجة؛ وتحدث أيضًا عن الصوم والزهد والحياة بالروح لا بالجسد، واكتساب الفضائل وضبط النفس والجسد، مع إعطاء نماذج من القديسين من العهد القديم، بالإضافة إلى الحديث عن النعمة والاستجابة المناسبة لها وعلاقة الله بالإنسان(٦٩).

وهكذا يتضح لنا من خلال كتابات القديس أثناسيوس أن المجتمع الذي يتحدث عنه في كتاباته يختلف بالكلية عن المجتمع الذى يتحدث عن كاتب النص الأصلي. فذلك الأخير كان يرى المجتمع قد بدأ يميل إلى الانحلال والانحراف وضعف الإيمان؛ ليس على المستوى الشعبي فقط، بل على مستوى الكهنة والرهبان، حتى أن الكلمة الحسنة والإرشاد القويم آنذاك كان أمرًا نادرًا، على خلاف المجتمع الذى كان يتوجه إليه القديس أثناسيوس بالحديث(٧٠).

فمن هو إذًا كاتب النص؟ وما هي الدوافع التي جعلته يكتب عظة كهذه وينسبها إلى القديس أثناسيوس؟

---

69 David Brakke, *Athanasius and Politics of Asceticism*, Oxford 1995, pp. 266-272.

٧٠ للمزيد عن تأصيل النصوص يمكن الرجوع إلى:
David Brakke, The Authenticity of the Ascetic Athanasiana. In *Orientalia* 63 (1994), pp. 17-56.

كاتب النصّ:

الكاتب هو شخصية مجهولة، أخفى ذاته عن عمد، ربما خشية من بطش الحاكم من جانب، ولإكساب العمل شرعية عن طريق نسبته إلى شخصية مشهورة من جانب آخر. لكن النَصّ رسم بعض ملامح من شخصيته:

من المُرجّح أن كاتب النص راهب، حيث كان يتوجه بحديثه إلى مجتمع الرُهبان بشكل خاص (ف ٣، ٤، ٦، ٧، ٨)؛ وكان مصريًّا، حيث ذكر تَمسُّكه بالتعليم الأرثوذوكسي الذي لكرسي مارمرقس (ف٨)؛ ويؤمن بفكر الطبيعة الواحدة للسيد المسيح، حيث كان ينتقد وبشدة عقيدة كنيسة الروم (ف ٨ ، ٩)؛ وعنده خبرة قوية بالكتاب المقدس، ويظهر هذا من كثرة الاقتباسات التي استخدمها، فلا تخلو فقرة من اقتباس أو أكثر. ويبدو أن الكاتب كان له طابع حاد بعض الشيء، ويظهر ذلك في لهجته وأسلوبه التحذيري والتوبيخي الذي كان يتحدث به طوال النص.

دوافع كتابة النص[٧١]:

لم تكن الدوافع وطنية بقدر ما كانت دينية، فقد ربط الأقباط بشكل واضح بين الأحداث التاريخية وبين الأمور السماوية والمشيئة الإلهية. فعلى سبيل المثال رأى الأقباط في حكم العرب إنه مشيئة الله لمعاقبة الشعب على ذنوبه وخطاياه.

شعر الأقباط أن الحكم العربي لا يختلف كثيرًا عن الحكم البيزنطي حينما بدأ العرب في اتباع سياسة القمع والظلم وإذلال الناس والتدخل في شؤونهم الدينية. ومن ثم بدأت هذه النوعية من الكتابات ومجموعة أخرى من الكتابات الدفاعية في الظهور كنوع من الثورة على الظلم.

من خلال تَتبُّع أسلوب النص الوعظي والرؤي معًا يمكن أن نستشعر غيرة الكاتب على المجتمع وما استحال إليه من تشتت وانقسام وما شابه من انحدار أخلاقي، والذي امتد حتى إلى جموع الكهنة والرهبان. شعر الكاتب أن من

[71] Otto Meinardus, Op.Cit, pp. 153–170.

واجبه التوجه برسالته التحذيرية لتوحيد الفكر والهدف بعد حالة التشتت التي سادت المجتمع ومطالبة الشعب بالرجوع بقلب واحد إلى اللّه كيما يرفع عنهم.

نقطة أخرى، ولعلها الأهم، عن دوافع الكتابة، وهي مقاومة الظلم البشري الواقع. فحين يشعر الناس أنه ما باليد حيلة، فإنهم يُرجعون الظلم الواقع عليهم إلى غضب اللّه نتيجة خطاياهم.

شعر الكاتب وقتها بمثل هذا الظلم من الحُكام على الشعب والبلايا التي ابتلتهم، فوجد منفذًا مناسبًا في مثل هذا النوع من الكتابات ليُفصح عما في باطنه بحرية مطلقة دون أن يؤخذ عليه حرف[٧٢].

نسبة العمل إلى شخص أثناسيوس:

مكانة أثناسيوس كشخصية هامة لها وضعها في الكنيسة القبطية بين الأقباط:

كان للقديس أثناسيوس، ولم يزل، مكانته الخاصة لدى الكنائس الشرقية بصفة عامة، والأقباط بصفة خاصة. وقد أولى التراث القبطي هذه الشخصية العظيمة من الاهتمام ما صنع حولها قصصًا أشبه بالأساطير. حُفِرَت شخصية هذا القديس في ذاكرة الأقباط على أنه مؤسس الأرثوذكسية وبطل الكنيسة الهُمام الذى ثبَّت الإيمان القويم الذي للكنيسة الجامعة. إنه ذلك الشاب القبطي الشجاع الذي وقف في مجابهة الهراطقة بكل شجاعة وأعاد للعالم إيمانه بعد أن كاد يضل.

ولعل هذه من أهم النقاط التى دعت الكُتَّاب الأقباط أن يُسَلِّطوا الضوء حوله كمؤسس للأرثوذكسية في العالم ورمز للوحدة، كنوع من ترسيخ مبدأ استقامة إيمان الكنيسة المصرية في أذهان الأقباط، وخاصة بعد عزل الكنيسة المصرية عن الكنيسة الأم.

---

72 B. Witte, *Die Sünden der Priester und Mönche. Koptische Eschatologie des 8. Jahrhunderts nach Kodex M 602,* 2 vols., Altenberge 2002, p. 18.

الملفت في الأمر أن كتابات القديس أثناسيوس الدفاعية والجدلية لم تحظ بهذا القدر من الاهتمام بقدر ما حَظت به كتاباته الوعظية والرعوية، بل إن الجانب الأكبر من النصوص المنسوبة إليه هي بالأحرى عظات رعوية وأخلاقية[٧٣].

تاريخ كتابة النص:

من الصعب تأريخ العمل بأي شكل من الأشكال لما قبل الإسلام. فظهور حركة الكتابات التنبؤيَّة في مصر الخاصة بالعرب ونسبتها إلى كُتَّاب كبار ومشهورين، أمثال القديس أثناسيوس، لم تظهر إلا بعد دخول العرب مصر. يقترب أسلوب الصياغة من أسلوب كُتَّاب القرنين السابع والثامن إلى حد كبير. هذا بجانب تأثُر كل كاتب بالمحيط والقضايا المجتمعية المثارة حوله. دراسة النص بشكل مُجمل وتحليل عناصره من حيث لغته والموضوعات المتناولة فيه اجتماعيًّا وتاريخيًّا تجعلنا نستنتج أنه كُتب بعد دخول العرب مصر[٧٤].

يفتتح الكاتب النَصّ بمجموعة من الأحداث من الماضي القريب له ويستمر في سرد أحداث حاضرة. فهذا النص الذي تم تأريخه في منتصف القرن الثامن تبدأ أحداثه من حيث سقوط مملكة الروم واحتلال الفرس، ثم يتحدث الكاتب مباشرة عن عصر الدولة الأموية (٦٦٢م - ٧٥٠م) والذي تشابهت الأحداث الواردة عنه في بعض المصادر التاريخية مع ما ورد في النَصّ بشكل كبير.

في الفقرات القليلة القادمة سنقوم بعرض تتبُّع تاريخي للأحداث كمحاولة لوضع النص في زمنه الصحيح.

---

73 David M. Gwynn, Athanasius in Oriental Historical Tradition. In Christopher Richard Flower et al. (eds.), *Unclassical Traditions,* Vol. 2: *Prespectives From East and West in Late Antiquity*, (Cambridge Classical Journal Proceeding of The Cambridge Philogical Society, supplementary, 35), Cambridge 2011, pp. 43-58.

74 T.Orlandi, *Omelie Copte*, (Corona Patrum vol7), Torino 1981, p.71.
Martinez, *Op.Cit*, p.261-63.

تَتبُّع بعض الأحداث الواردة في النص عبر التاريخ:

الاحتلال الفارسي وسقوط مملكة الروم (ف ٩،١).

يتحدث الكاتب عن سقوط مملكة الروم ويُرجِع هذا إلى غضب اللّه بسبب تقسيمهم وحدانيته، ثم يشير إلى مملكة الفرس والتعب الذي سيحلّ بالبشر في أيامهم، والخطايا التي ستزداد جدًّا. يسرد الكاتب هذه الأحداث في إيجاز سريع دون الدخول في تفاصيل.

دخول العرب مصر و الرؤيا الواردة في سفر دانيال:

ينطلق الكاتب ويُطلق لقلمه ولمشاعره العنان حين يبدأ في سرد أفكاره عن دخول العرب مصر، وسيطرة هذا الشعب الذي وصفه في العدد كمثل الجراد. يذكر الكاتب أن تلك الأمة هي من أبناء الإسماعيليين، أبناء هاجر خادمة إبراهيم (ف ٩)، ويصفه بأنه شعب ضارٍ وقاسٍ ليس فيه رحمة، وأن هذا الشعب سوف يتسلط على الأرض وينهبها. ولعل هذه الفكرة نابعة مما ورد في سفر التكوين حول ما قيل عن إسماعيل بن هاجر أنه يكون إنسانًا وحشيًّا، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه[٧٥] (تكوين ١٦ : ١٢).

يُشبِّه الكاتب هذه المملكة بالوحش الرابع المذكور في رؤيا دانيال[٧٦]، هذا وقد اُعتيد تشبيه المملكة الحالية بالوحش الرابع. الأربعة وحوش تمثل الأربعة ممالك، وحُفِرَت المملكة الرابعة في فكر المفسرين على أنها المملكة الحالية[٧٧]. فعلى سبيل المثال، في أيام الدولة الرومانية كانت روما هي رمز الوحش الرابع لما رأوا فيها من ظلم وشراسة ووحشية. لكن يبدو أن المفسرين الشرقيين والأقباط قد تغير فكرهم في العصر الأموي، فأسقطوا الوحش الرابع على العرب. وكما كان الأقباط ينظرون إلى الحكم العربي على أنه

---

75 Harald Suermann, Biblical Quotations in Christian Apocalypse Writings. In David Thomas (ed.), *The Bible in Arab Christianity* (The History of Christian - Musilm Relations, 6), Leiden 2007, pp.74–77, 87-88.

٧٦ دا ٧.

77 B.Witte, *OpCit*, pp. 215-216.

مشيئة الله وأنه لا ينبغي عليهم المقاومة، بل ينبغي الانصياع للإرادة الإلهية، واعتقدوا أن الله بمقدوره أن يطوع هؤلاء الحكام طبقاً لمشيئته، فلم يأملوا في الحكام سوى العدالة. لكن بدأ يحدث تحول في كتاباتهم تجاه نظرتهم للعرب، وذلك نتيجة ظهور تطورات جديدة، مثل: تغيير العملة البيزنطية، ومحو صورة الصليب، وبداية اختلاط العرب بهم، وتتابع الظُلم على الأقباط والتدخل في شؤونهم الدينية. ففي الرسالة الفصحية للبابا ألكسندوس الثاني (٧٠٥م - ٧٣٠م) ذكر أن "علينا أن نستعطف رحمة الله (...) فالعالم يشهد المصائب واحدة فوق الأخرى، ويُسرع بخُطاه نحو نهاية الأيام التي ستدمر كل شئ"[(٧٨)].

أما عن تشبيه عدد الشعب مثل الجراد فيعلق B. Witte أنه من الصعب أن يتحدث الكاتب عن بداية الفتح العربي بقيادة عمرو بن العاص عام ٦٤١م، حيث أن أعداد الوافدين كانت تُقدَّر بحوالي ستة عشر ألفاً من الرجال، وكان تعداد الشعب القبطي آنذاك يربو على الخمسة عشر مليونًا تقريبًا[(٧٩)]. الإشارة هنا إلى أعداد غفيرة يمكن أن يشير إلى بداية اختلاط العرب بالمصريين، لأن دور العرب في مصر في البداية كان دورًا سياسيًّا وإداريًّا فحسب، فلم يختلطوا بأهل مصر فيما يتعلق بأمور الزراعة وامتلاك الأراضى؛ إلا أنه في بدايات القرن الثامن بدأت تظهر حركات ترحيل للعرب من شبه الجزيرة العربية إلى مصر[(٨٠)]، فلم يَعُد يلعب العرب دور الحُكَّام السياسيين فحسب، بل صاروا جزءًا من المجتمع باشتغالهم بالزراعة وامتلاك الأراضي، مما نتج عنه عمليات تزاوج واختلاط بين الثقافتين. وفي خلافة هشام بن عبد الملك وولاية عبدالله بن الحبحاب وفد إلى مصر عرب قيس (شمال الجزيرة العربية)، حيث تم ترحيل ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر، فنزلوا

---

[78] L.S.B. MacCoull, The Paschal Letter of Alexander II, Patriarch of Alexandria: A Greek Defense of Coptic Theology under Arab Rule. In *Dumbarton Oaks Papers* 44 (1990), pp. 27–40.

[79] الراهب القس أثناسيوس المقاري، *الكنائس الشرقية وأوطانها*، الجزء الثاني: *كنيسة مصر*، (مقدمات في طقوس الكنيسة ٢)، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٨٢.

[80] B. Witte, *Op.Cit*, p. 213.

إلى مصر وصاروا يشتغلون بالزراعة لأول مرة[٨١]. لعل هذه من الأمور التي أزعجت الكاتب حيث شعر أن الأمر لم يعد يتعلق بغزو قد يستمر لفترة ما وينتهي، بل تخطى هذا إلى حد الاستيطان والاختلاط. وكل اختلاط لا بد وأن يترتب عليه امتزاج في الأفكار والمعتقدات حتى وإن استمر كلٌّ على معتقده.

مدينة الخليفة دمشق واسم الوحش على العملة الذى رقمه ٦٦٦:

يذكر الكاتب أن اسم العاصمة هي دمشق، وفي هذا إشارة أخرى إلى عصر الدولة الأمويّة (٦٦٠ ـ ٧٥٠م) التي أسسها معاوية بن أبي سفيان بعد نشوب نزاع بينه وبين علي بن أبي طالب، حتى تم التنازل عن الخلافة لمعاوية، وانتقل مقر الخلافة بعد ذلك إلي مدينة دمشق[٨٢].

يتحدث الكاتب بعد ذلك عن صكِّ عُملة جديدة واسم الوحش عليها. كانت العملة المستخدمة هى العملة البيزنطية، وبعد ظهور المسيحية أصبحت العملات تحمل رموزًا مسيحية شهيرة. ومع نهايات القرن الرابع تصدرت علامة الصليب واجهة العملات[٨٣]. كان هناك تقليد أن اسم الوحش الذى تمّ صكه على العملة ينطبق على اسم محمد نبىّ الإسلام. فلو صح هذا الكلام، فهذه إشارة واضحة إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥م) حيث ظهرت أول عملة إسلامية تم صكها من الذهب الخالص وسُميت دينار، وقد اشتملت على مأثورات دينية، أهمها الشهادتان. وهناك رأي آخر بأنه من المحتمل أن الوحش المقصود هو الخليفة مروان الثاني والذي نُقشت صورته على العملة في عهده[٨٤]. (انظر شكل ١ ، ٢)

[٨١] الراهب القس أثناسيوس المقاري، المرجع السابق، صـ ٢٢٠.

[٨٢] الكندى، *كتاب الولاة وكتاب القضاة*، مهذباً ومصححًا بقلم رفن كست، بيروت ١٩٠٨، صـ ٢٦–٣٢.

[٨٣] ستانلى ايه هدسون، تتبع انتشار المسيحية في عصورها الأولى من خلال العملات المعدنية، ترجمة عادل زكرى، *مجلة مدرسة الإسكندرية* (السنة الثالثة ٢٠١١، العدد الثالث)، صـ ٦٤–٦٦.

[84] F.J. Martinez, *Op.Cit.,* pp. 262-263.



شكل ١: الدينار الذي تم صكه في بداية العصر الأموي عليه الشهادتان



شكل٢: الدينار الذي تم صكه في عهد الخليفة مروان الثاني وعليه صورته

المجتمع وحالات الطلاق:

ذكر الكاتب أن الرجال سوف يطردون نساءهم ويأخذون غيرهن من أجل الشهوة (ف ٨). لعل في هذا إشارة إلى وجود حالات طلاق واضحة، ويذكر كُتّاب تاريخ البطاركة أنه أيام البابا سيمون، البطريرك الثاني والأربعين (٦٨٤ ـ ٦٩١م): "*نزل عليهم تجربة في ذلك الزمان قوم يشبهوا الأمم يتخلوا عن نساهم الحلال وياخدوا نسا غير حلال منهم مرتين ومنهم ثلثة يظهروا محبتهم للشهوة وكانوا يقولوا انهم نصارى فيردعوهم الأساقفة ويمنعوهم السراير المقدسة فمضوا منهم قوم إلى الأمير وقالوا له قد منعونا الأساقفة أن نتزوج وأحوجونا أن نزنى*"[٨٥].

[85] Christian Seybold, *Severus ibn al Muqaffa, Alexandrinische Patriarchengeschichte von S. Marcus bis Michael I. 61-767 nach der ältesten 1266 geschriebenen Hamburger Handschrift* (Veröffentlichungen aus der Hamberger Stadtbibliotethek, 3), Hamburg 1912, p. 126.

المجتمع والآلام التي لحقت به:

التعداد (ف ٩،٩):

تم إحصاء الشعب والرهبان أكثر من مرة، وعلى سبيل المثال:

الإحصاء الأول: في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان والوالي عبد العزيز بن مروان تم إحصاء الرهبان لأول مرة وتم أخذ الجزية منهم بمقدار دينار عن كل راهب[٨٦].

الإحصاء الثاني: في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وأسامة بن زيد متولي الخراج أُحصى الرهبان للمرة الثانية، ويُذكر عنه أنه اشتدّ جدًّا في طلب الخراج والجزية حتى أسلم الكثيرون في عهده لكي ما يتخلصوا من الأعباء المالية[٨٧].

الإحصاء الثالث: في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (٧٢٣ ـ ٧٤٤م) والوالي حنظلة بن صفوان (٧٢٠ ـ ٧٢٣م)، ويُذكر أنه تشدَّد على النصارى وقام بإحصاء الناس والبهائم وجعل وشماً على شكل صورة أسد على يد كل شخص[٨٨].

مضاعفة الجزية وقمع الشعب وإذلالهم وبيع الأولاد (ف ٩،٣، ٩،٦، ٩،٩):

فُرضت الجزية في البداية على الجميع ما عدا النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والفقراء والرهبان، ثم فُرضَت الجزية في وقت لاحق على جميع الرجال، بما فيهم الرهبان، كما حدث في عهد عبد العزيز بن مروان.

ويُحكى أنه في خلافة عبد الملك بن مروان وإمارة عبد الله بن عبد الملك أن ذلك الأخير كان مُحبًّا للمال جدًّا حتى أنه رفع الجزية وجعل ثلثي دينار على كل دينار، حتى أن بِيَعًا كثيرة خربت لهذا السبب، بل زاد على هذا أنه أمر

---

86 Seybold, *Op. Cit*., p. 134.
87 Seybold, *Op. Cit,* p. 142.
88 Seybold, *Op. Cit,* p. 145.

ألا يُدفن مَيْتٌ حتى تُدفع عنه الجزية[٨٩].

وفي ولاية حنظلة بن صفوان الأولى. قرة بن شريك صاحب الخراج، وأسامة بن يزيد، يُذكر أنهما اشتدَّا على القبط وضاعفا عليهم الجزية والخراج وضربا الرهبان وهدما الكنائس وكسرا الصلبان[٩٠].

وفي خلافة هشام بن عبد الملك يُذكر أن عبد الله ضاعف الخراج على مصر[٩١]. كذلك ضاعف أبو القاسم الخراج على الناس بالرغم من أن البلاد وقتها كانت تمر بأزمة، وكانت الخيرات قد شحت[٩٢].

وفي ولاية عبد الملك بن رفاعة، وصل به الجشع إلى أنه أعطى أوامره لجنده بالسلب والنهب وحَمْل كل ما يقدرون عليه، وألا يُراعوا احدًا؛ بل زاد علي ذلك أنه أسلم إليهم أنفس الناس! ومن شدة الضنك والضيق همَّ الناس أن يبيعوا أبناءهم[٩٣]. وتكرر ذِكْر حادثة بيع الأبناء في إمارة حفص بن الوليد وخلافة مروان بن محمد، حيث يُذكر أن الأول قد "*انزل عليهم بلايا وتعب وكان يختلق الذنوب لهم في كل وقت حتى باعت الناس بهائمهم واولادهم*"[٩٤].

الهروب (ف ٩،١٠):

حدث في أيام قُرة بن شريك أن الناس أخذوا يهربون إلى الصحاري من شدة التضييق عليهم، حتى أن قُرة ولَّى واحدًا اسمه عبد العزيز كان يجمع الهاربين من كل موضع ويربطهم ويعاقبهم[٩٥]. أيضًا أيام عبد الملك بن رفاعة كان الناس يهربون إلى البراري، ومن خوف الرهبان لم يقبلوا إليهم الغرباء[٩٦].

---

89 Seybold, *Op. Cit*., p. 136.
90 Seybold, *Op. Cit*., p. 136-140.
91 Seybold, *Op. Cit*., p. 145.
92 Seybold, *Op. Cit*., p. 155.
93 Seybold, *Op. Cit*., p. 142.
94 Seybold, *Op. Cit*., p. 164.
95 Seybold, *Op. Cit*., p. 140.
96 Seybold, *Op. Cit*., p. 142.

الأوبئة (ف ١٠):

في خلافة الوليد بن عبد الملك وإمارة قرة بن شريك حدث وباء مات على إثره العديد من الناس والبهائم[٩٧]، وبعدها بفترة حدث غلاء شديد جدًّا أعقبه وباء آخر؛ وكان ذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك وإمارة عبد الملك بن رفاعة الأولى[٩٨].

شدة كبيرة أخرى مرت بها البلاد حيث أصابها وباء شديد، تلاه جفاف ثم وباء، وكان ذلك لمدة دامت حوالي سبع سنين؛ قَلَّت فيها الخيرات وعَدِم القمح، ومات الكثير من البشر والبهائم، وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك[٩٩].

وأيضًا في خلافة مروان بن محمد وولاية حفص بن الوليد وأيام البابا خائيل حدث وباء عظيم جدًّا في أيامه حتى أن العجل الصغير دُفع فيه عشرون دينارًا[١٠٠].

قدَّم Martienz و B. Wiette محاولات لتأريخ هذه الاحداث وإعادة نسبتها إلى الولاة والخلفاء في العصر الأموي، وقدم كل منهما رؤيته، ولكن كمنت المشكلة في أن كثيرا من هذه الأحداث تكرر مع أكثر من والي. فحاولتُ هنا إعادة النظر فيما يتعلق بنسبة الأحداث، فبدل من نسبتها إلى الولاة والخلفاء وتتبُع الأحداث حسب كل والٍ، حاولت إعادة نسبتها إلى البطاركة وتتبع هذه الأحداث عبر حياة البطاركة وليس عبر حياة الولاة والخلفاء. واليكم عرض جدول يحتوى على الحدث والخليفة والوالي والبابا:

97 Seybold, *Op. Cit*., p. 140.
98 Seybold, *Op. Cit*., p. 141-142.
99 Seybold, *Op. Cit*., p. 155.
100 Seybold, *Op. Cit*., p. 164.

الحدث	موقعه في النص	الخليفة	الوالي أو متولي الخراج	البابا
حالات الطلاق	٨			سيمون الأول (٦٨٩م - ٧٠٥م)
شعب عدده مثل الجراد	٩,٢	هشام بن عبد الملك (٧٢٤ م - ٧٤٣ م)		تواضروس الأول (٧٣١م - ٧٤٤م)
القمع ورفع الجزية	٩,٣	عبد الملك بن مروان (٦٨٦م - ٧٠٦م)	عبد الله بن عبد الملك (٧٠٦م - ٧٠٨م)	ألكسندروس الثانى (٧٠٥م - ٧٣٠م)
		الوليد بن عبد الملك (٧٠٧م - ٧١٥م)	قرة بن شريك (٧٠٩م - ٧١٥م)	
مضاعفة الخراج بعد إحصاء الشعب		هشام بن عبد الملك	عبد الله بن الحبحاب متولى الخراج	ألكسندروس الثاني
كثير من القبائل يختلطون في أمانتهم	٩,٧	عمر بن عبد العزيز (٧١٨م - ٧١٩م)		ألكسندروس الثاني
صك العملة	٩,٩	عبد الملك بن مروان		ألكسندروس الثاني
تعداد الرهبان الأول	٩,٩	عبد الملك بن مروان	عبد العزيز بن مروان (٦٨٥م -	ألكسندروس الثاني

الحدث	موقعه في النص	الخليفة	الوالي أو متولي الخراج	البابا
			٧٠٥م)	
تعداد الرهبان الثاني		سليمان بن عبد الملك (٧١٥م ـ ٧١٨م)	أسامة بن زيد متولي الخراج	ألكسندروس الثاني
تعداد البشر والبهائم		هشام بن عبد الملك (٧٢٣م ـ ٧٤٣م)	عبدالله بن الحبحاب متولي الخراج	
حالة السلب حتى باع الناس أبناءهم	٩,٩	سليمان بن عبد الملك	عبد الملك بن رفاعة	ألكسندروس الثاني
الحادثة الثانية لبيع الأبناء		مروان بن محمد (٧٤٥م ـ ٧٥٠م)	حفص بن الوليد (٧٤٥م ـ٧٤٦م)	خائيل الأول (٧٤٤م ـ ٧٦٧ م)
نهب أموال الشعب		هشام بن عبد الملك	أبو القاسم	تواضروس الأول
نهب الذهب والفضة والنحاس		مروان بن محمد	عبد الملك بن موسى بن نصير	خائيل الأول
هروب الناس بسبب فرض المال الكثير	٩,١٠	الوليد بن عبد الملك	قرة بن شريك	ألكسندروس الثاني
		سليمان بن عبد	عبد الملك بن	

الحدث	موقعه في النص	الخليفة	الوالي أو متولي الخراج	البابا
		الملك (٧١٥م ـ ٧١٨م)	رفاعة (٧١٥م ـ ٧١٨م)	
الوباء الأول	١٠،٣	الوليد بن عبد الملك	قرة بن شريك	ألكسندروس الثاني
الغلاء		سليمان بن عبد الملك	عبد الملك بن رفاعة	
الوباء الثاني		سليمان بن عبد الملك	عبد الملك بن رفاعة	
وباء وجفاف وانحسار النيل		هشام بن عبد الملك	ابو القاسم	تواضروس الأول
وباء		مروان بن محمد	حفص بن الوليد	خائيل الأول

من الجدول السابق يتضح أن الكاتب كان متأثرًا إلى درجة كبيرة بالأحدث الواقعة في عهد البابا ألكسندروس الثاني حيث أن عصره كان مُلبَّدًا بالأحداث الأليمة والكثير من الاضطهادات، بل والأكثر من هذا لم يَسْلَم الشعب في عصره حتى من الأوبئة. واعتقد أنه من المهم ربط هذه الأحداث بما ورد في كتاب تاريخ البطاركة حيث أن مُدوِّن الأحداث في ذلك المصدر الأخير قد عاصر الأحداث، بل والأكثر من هذا أنه كان من شخصيات الحدث نفسه[١٠١].

ربما لا تعطي هذه الأحداث دليلاً قاطعاً على أنها الأحداث المؤلمة التي

[١٠١] صموئيل معوض، كتاب تاريخ البطاركة باللغة العربية، في: *مجلة مدرسة الاسكندرية (السنة الثانية ٢٠١٠، العدد الثالث)*، ص ٢٢٣–٢٤١.

يتحدث عنها كاتب العظة، ولكن حينما نرى حقبة زمنية مرت بالكثير من البلايا المتعاقبة، والالام المتلاحقة، فبالتأكيد كانت لهذه الأحداث صداها على الأقباط، وتركت آثارًا ليست هينة في ذاكرتهم، وربما فيما بعد صارت أحاكيهم التى يتحاكون بها في أحاديثهم.

في الختام نرى أن الرؤى أو النبوءات الخاصة بدخول العرب مصر هي مجموعة من الكتابات التي تنتمي لأحد ألوان الأدب، ألا وهو أدب الرؤى أو النبوءات المنحولة. وقد تبنى الكُتَّاب الأقباط هذه النوعية من الأعمال في فترة الحكم العربي. تتعلق هذه الأعمال بقولبة أحداث سياسية وتاريخية واجتماعية واقعة في زمن الكاتب من منظور شعبي، وتفسير هذه الأحداث في إطار ديني نبوي وأخروي بغرض التعبير عن مشاعر الكاتب تجاه الأحداث الراهنة، بجانب إرسال رسائل معينة للسامع للفت انتباهه وجذب إدراكه.

من الصعب أن نستخلص من النص تاريخًا مُجرَّدًا، حيث أن هذا النوع من النصوص ليس إلا أدبًا شعبيًا يعكس رؤية كاتبه عن الزمن الذي يعيشه. فالكاتب لم يكن يرغب في تدوين التاريخ بحيادية بقدر ما كان يريد أن يعبر عما يعتقده هو. فهذه النصوص ليست نبوءات حقيقية، بل واحدة من أساليب الإسقاط السياسي عن طريق الحديث عن الحاضر والماضي القريب بصيغة المستقبل. وفي المجمل فإن دراسة هذه النصوص عمل مهم حيث أنها تُشكِّل صورة لثقافة الأقباط وأسلوب تفكيرهم في واحدة من الحقبات التاريخية الهامة.